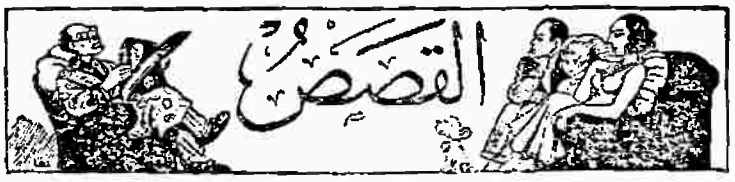

حلم شـــاعر

للأستاذ محمد سعيد العريان

الليلةَ عيد مولده !

أولئك أصحابه وصواحبه قد أحاطوا به فرحين مهلِّلين ، يضيء البشر فى قسماتهم ، وترفّ على شفاههم بسمات الفرح والمسرة ؛ قد تنادَوا إلى موعدهم ودَعوه معهم إلى ناديهم ، ليحتفلوا بعيد مولده !

وإنه لجالس بينهم ولكنه ليس منهم ؛ إنه هنا ولكنه هناك !

* * *

... وفى يده زهرةٌ يعبث بها ... وضمها بين راحتيه ومال عليها برأسه . ما به أن يشمّها؛ فإن عطرها ليأرج حوله وينتشر، ولكنه ينظر ويفكر ...

... وراحت أصابعه تنثرها ورقة ورقة تساقط عند قدميه وهو يعدّ ، وعدّ ثلاثين ورقة ، ثم تعرّت الزهرة من أوراقها إلا عوداً أخضر ليس له عطر ولا رواء ؛ وهمس الشاعر : هذه هى دنيانا ... واختلجت شفتاه وأطرق ؛ وعاد يعد الأوراق المنثورة تحت قدميه ...

... ثلاثون ورقة ! ... ذلك كل تاريخ الوردة ؛ فما هى بعد الثلاثين إلا عود ذابل متغثر وورقات منثورة على التراب ، وكانت وردةً عطرة يعبق بأريجها الجو وتهفو إليها الزهرات الطيارة من فَراش البستان ... فماذا يكون هو بعد الثلاثين وقد غربت شمسها منذ ساعات ... ؟

* * *

وعاد ينظر إلى أصحابه وصواحبه ، يبادلهم تحية بتحية ، وكلمات بكلمات ؛ لا يكاد يشعر أن هؤلاء جميعاً قد التقوا على ميعاد ليحتفلوا به فى عيد مولده ؛ فإن سيلاً من الخواطر والذكريات يتدافع فى رأسه الساعة ، فما يكاد يرى أو يسمع إلا نجوى نفسه وهمس أمانيه ؛ وغامت على عينيه غاشية ، فشطح إلى واد بعيد ... وإن أصحابه وصواحبه من المرح والبهجة لا يكادون يشعرون أنهم هنا وأنه هناك ؛ وما اجتمعوا إلا حفاوة بعيد مولده ...!

وأحس الشاعر إحساس الوحدة ، وإنه لبين أصحابه وأصفى الناس له ؛ فتركهم لما هم فيه وتركوه ، وإن وجهاً فى وجه ، وإن ابتسامة تجاوب ابتسامة ، وإن كلمة تحيّى وكلمة ترد ...

وانفض السامر ومضى كلٌّ لوجهه ، ومد الشاعر يده يصافحهم ويشكر لهم ؛ ثم تفرقت بهم السبل ...

* * *

... ووجد الشاعر نفسه وهو يمشى وحده فى جنح الظلام ، وأحس الوحدة الرهيبةَ التى يعيش فيها منذ كان ؛ فمضى يتحدث إلى نفسه ويحدّثه ، وخنقته العبرة فأرسلها ، ثم تنابعت عيناه .

وعاد الزمان القهقرى ينشر على عينيه ماضيه ويذكره أمانيه ...

وقالت له نفسه : هذا سبيلك فامض فيه على هدًى وبصيرة ، وانظر ماذا أعددت لغد ؟

وقال لنفسه : وهل ترين الغد يا نفس إلا صورةً من أمس الذى كان؟ وهل ترينى فى غدٍ غيرَ مَن أنا اليوم وغيرَ مَن كنت فى الماضى ؟ ...

لقد تجاوز الثلاثين ولم يزل حيث كان يوم بدأ ؛ فماذا يكون غيرَ الذى كان ؟

وأوى إلى فراشه وأطفأ المصباح ، ليقضى ما بقى من الليل يراوح بين جنبيه فى فراش الوحدة لا يهدأ ولا يستقر !

* * *

كان شاعراً بروحه وفطرته قبل أن يكون شاعراً له لسان وبيان : نظر إلى الناس فى دنياه فاستوعبهم بنظرة ، ثم عاد ينظر إلى نفسه فلم يعرف أين هو من نفسه وأين هو من الناس ؛ وشعر بالوحدة منذ شعر أنه يعيش فى جماعة . وكان له خيال وفى نفسه أمل ؛ فتوزّعته دنياه ودنيا الناس ؛ فلا هو عاش فى دنيا الناس واحداً منهم ولا هو عاش فى دنياه وحده !

وألحت عليه ضرورات الحياة ، فأبت عليه فطرةُ الشاعر أن يلتمس بعض وسائل الناس ؛ فعاش من ضروراته وفطرته بين قوتين تتجاذبانه ، لا سبيل إلى الخلاص منهما معاً إلا أن

يعيش روحاً بلا جسد أو جسداً بلا روح ؛ وهيهات !

وفكر فيما خلق الله وفكر فى نفسه ؛ فكأن فى كل ما يراه لساناً يحدثه ، وفى كل ما يسمعه معنى يهتف به ؛ وكأن فى كل منظور حقيقة غير منظورة لا تتكشف إلا لعينيه ولا يسمع نجواها أحد غيره ؛ فإن وراء الغمام طيوفاً تتخايل له فى شكول وألوان ، وإن فى لمان البرق ومضات من الإلهام ، وإن فى الصمت لكلاماً أبلغ من الكلام ، وإن بين السماء والأرض لعوالم غير منظورة تفضى إليه بأسرارها !

وتكشفت له الدنيا ونضت أستارها ؛ فألهمته أن يغنى ...

وفاض ما فى جنانه على لسانه سحراً من النغم يعبر عن أخفى خفايا النفس وأعمق أسرار الحياة ؛ ولكن ألحانه القدسية قد تلاشت أصداؤها فى صخب الحياة وضجة الأحياء ؛ فلم يستمع إليه أحد !

وضاق الشاعر بوحدته بين هذا الناس وضاقت به دنياه ؛ فاعتزم الخلاص ... ولكن روحاً لطيفاً أطل عليه من سماواته فثبّت فؤاده ...

وابتسمتْ له فابتسم ، وعادت إلى الحياة نضرتُها فى عينيه ، ووجد أنساً من وحشته حين أيقن أنه ليس وحيداً فى دنياه !

وعاد يغنى ... ولكن غناءه اليوم ليس له وحده ؛ إنه لحن مؤلف من خفقات قلبين قد اجتمعا على أمل ...

وغنى بها عن الناس ، وغنيتْ به ؛ فما يهمه اليومَ أن يسمع الناسُ ما يصدح به من أغاريد الحب أو يكون لها وحدها شدْوُه وغناؤه ! !

آه ... لشدّ ما تقسو عليه دنياه !

كان ذلك منذ سنين ، أما اليوم ، فقد عادت تقاليد الجماعة تضرب بينه وبينها بسور ليس له باب ؛ وعاد إلى الحياة وحده ، لا يدرى من أمرها ولا تدرى من أمره ...

* * *

... وأشرق الصبح عليه صبيحة عيد الميلاد ، وما زال يراوح بين جنبيه فى فراش الوحدة لم تغتمض عيناه !

ما هو ؟ وأين هو ؟ وما دنياه ؟

إنه ليحس من حوله فراغاً هائلاً ليس له قرار ؛ وإن الوحدة لتكتنفه ، فما يشعر أن ثمة أحداً بجانبه يفزع إليه ليؤنس وحشة قلبه ؛ وإنه ليعيش من زحمة الحياة وصخب الأحياء فى ضجة يموت فيها النغم ويتلاشى الصدى ؛ ففيم العيش ؟ وما جدواه ؟ وإلى أى غاية يمضى ؟

وعاد يلتمس الوسيلة إلى الخلاص ! ...

وقالت له نفسه : أتحسب يا صاحبى أنك قد فرغت من دنياك حين خلوت إلى نفسك ؟ فما أنت بشاعر ! ... لئن كنت قد عفت الحياة وكرهت المقام فى دنياك لأمر من أمور دنياك — إن الحياة ما تزال تطالبك بحقها عليك ؛ فإن أدّيته ... وإلا ، فلست من شعرائها ، ولا كنت ! ...

... ما الشعر إلا رسالة الحياة إلى الأحياء تعبر عن أسرار الحياة ومعانيها ؛ وما هو إلا قبَس من نور السماء يتنزل على قلب بشر لتنير به السماء ما حوله من ظلمات البشرية ؛ وما هو إلا إحساس زائد على إحساس الناس يرى ما لا يرى ذو عين ويسمع ما لا يسمع ذو أذن ؛ وما هو إلا وحىٌ يوحَى من وراء الغيب إلى إنسان تكون فيه زيادة على الإنسانية ؛ وما هو إلا إدراك كامل يكشف عن مظاهر الجمال فى الكون ويهدى إلى الحق والخير

... أفتراك يا صاحبى قد بلغت رسالة الشعر حين حسبت أنك قد فرغت من دنياك ، أم أنت ... ؟

وأطرق الشاعر برهة يفكر ثم نهض لأمره ...

بلى ، إن عليه رسالة يؤدّيها وواجباً ينهض له ؛ فلا عليه من الناس حتى يبلغ ، فإذا انتهى من أمره فإن نفسه له خالصة يمضى بها حيث يريد

وأمات فى دخيلته دواعى النفس ونوازع الهوى ومضى لغايته ...

وعاد يغنى ... غير آمل ولا خائف ، وما به من شىء ضجرٌ ولا ملالة ؛ وأنس وسمتْ روحه فى آفاقها إلى ظل عرش الله ، حين قمع شهوات نفسه ونوازع هواه وآثر أن يكون نوراً يضىء للناس وهو يشتعل ؛ فلفيت أغانيه من يسمع فيى !

وأفاق النـاس على لحن علوىٍّ ساحر ينشده شاعر وهب نفسه للدعوة إلى الحق والفضيلة والجمال ؛ ونظروا ، فإذا هو هو ، ولكنه صار شخصاً غير من كان ، لا تتصباه المنى ولا يعبث به هواه ، وليس له فى الحياة إلا هدفٌ واحد يسعى إليه ...

وجاء المجد حين لا حاجة إليه ...

وأشارتْ إليه من النافذة بنانٌ مخضوبة وتقول : إنه لَهُـو ! ولكنه لم ير ، ولكنه لم يسمع ...

شجاعة المرأة الكردية

[قصة تاريخية واقعية لم يحن الوقت بعد لذكر أسمائها]

للآنسة الأديبة سائحة أمين زكى

حدث أنه كان فى منطقة ... رجل نبيل مهيب الجانب قد وهبه الله من الشجاعة والكفاية قدر ما وهبه من جمال الرجولة وقوة الشباب ، ومن ذلك كان رجاله يحترمونه ويقدسونه حتى ليرفعونه إلى مصاف الآلهة ، وقد هيأت له الأقدار زوجة هى صورة مصغرة له ولصفاته ، قد حباها الله ثروة من الجمال والذكاء والشجاعة ، فهى تجيد الرماية إلى أقصى حد ، وتقصد الجاسر سامرة ، وتنافس الرجال فى أعمالهم ، والشعراء فى فنهم ، والعلماء فى علمهم ؛ فكانت بذلك مثلاً أعلى لبنات قومها ، وصورة بديعة ناطقة للمرأة الكردية

كان الرجل يحب زوجته ، وكانت هى تبادله حباً بحب فعاشا مدة من الزمن يرفرف عليهما طائر السعادة بجناحيه ، يخرجان معاً للصيد ويتسابقان فى العدو ، وأتباعهما يشيعونهما بنظرات ملؤها الحب والغبطة وهما فى لهوهما لا يحملان هماً من هم الحياة !

وحدث أن قدم الملك ... إلى هذه المنطقة تمهيداً للاستيلاء

وسعى ساعيها إليه يسأله : أتنك لأنت ... ؟

قال : نعم ، قد كان ذلك يوماً !

* * *

وعلى باب الكوخ المنفرد على حدود العمران ، جلس الشاعر على الرمل مرتفقاً إلى صخرة ناتئة ، يسرّح بصره فى الفضاء الممتد إلى ما لا يبلغ النظر ، وفى نفسه أنس ، وفى قلبه هدوء ورضا واطمئنان ، وعلى لسانه تسبيح وعبادة !

لقد كان فى مجلسه ذلك بحيث لا تراه عين ولا تسمعه أذن ، ولكنه لم يكن وحده ، لأن الله معه !

واستيقظ الشاعر بعد غفوة ، وابتسم ...

لقد أدّى رسالته ، ولكنه لم يكن فى أىّ أيامه أكثر حباً للحياة منه يومئذ !

لقد تحقق حلمه بعد لأى ، ووجد نعيم رؤياه !

محمد سعيد العريان

١٤ - ٢٣

عليها وضمها إلى ممتلكاته . فلما تم له الأمر ، أولم وليمة فاخرة ، دعا إليها جميع نبلاء وحكام هذه المنطقة ، وكان من بينهم هذا النبيل ، فما كاد الملك يراه حتى أعجب بذكائه ، فلما سأل عنه سمع مازاده حباً له وتعلقاً به ، فرغب فى ضمه إلى بطانته ليأنس به ، ويستمتع بعلمه وفضله ويتخذه سلاحاً من أسلحته ؛ فلما عرف هذا النبيل رغبة الملك لقيها بالقبول لما رآه من عطفه على المغلوبين من إخوانه ، وتواضعه لمن حوله ؛ ورضى أن يكون مرافقاً له ، وشد الرحال مع زوجته وخدمه ميممين شطر العاصمة ، ولو درى المسكين ما يخبأه له القدر وراء هذه الرحلة من الشر لما رضى أن يرحل ولما خطا خطوة فى هذا السبيل

وصل النبيل وحاشيته إلى قصبة الملك ، فأفرد له الملك قصراً فخماً فى وسط حديقة غناء ، سكن فيه هو وزوجته فى أسعد حال وأهنأ بال ، واستأنفا ما كانا عليه من قبل : من صيد وقنص ومرح ، والجميع يتغنون بمحاسن هذه المرأة وجمالها الذى جلب عليها الوبال فيما بعد . وما زال جمال المرأة منذ كانت أس البلاء ومنبت الشر ، وما زال سبباً إلى الكوارث الفاجعة ، ما دام هناك رجال تسوّل لهم نفوسهم أن ينظروا إلى ما لا تملك أيديهم . وكان واحد من النبلاء - وإن لم يكن فى طبعه شىء من صفات النبل وكرم النفس - مقرباً من الملك ، صديقاً له ، لا يخطو الملك خطوة إلا عن أمره ، ولا يقطع فى رأى إلا بمشورته ؛ فرآها يوماً خارجة لنزهتها المعتادة ، منتصبة فوق صهوة جوادها ، رافعة الرأس ، باسمة للطبيعة يتبعها خادماها الأمينان لا ينفكان يلاحظانها بعيونهما ، كما ينظر الكلب الأليف إلى صاحبه ، ولكنهما على ما كان يبدو عليهما من الضعف بإزائها ، كان من شجعان الرجال ، قد أخذا الأهبة للذود عن سيدتهما وقتل كل شرير تسول له نفسه الخبيثة أن يحاول الاقتراب منها ؛ فلم يجد النبيل سبيلاً إلى التقرب منها أو سماع صوتها واكتفى بالنظر إليها والتملى بمحاسنها على بعد ؛ وأحست المرأة بغريزتها أن هناك من ينظر إليها ، فالتفتت ، وحين التقت نظراتها بنظراته ، ورأت ما فى عينيه من حديث نفسه الدنيئة ... ظهر الغضب فى وجهها ، وأدارت رأسها ، كأن النظر إلى وجهه يدنسها ... لكن ذلك النبيل لم يبال ما رأى ، بل ابتسم ابتسامة فيها وعيد وتهديد . وحين رجع إلى بلاط الملك قص عليه قصة هذه الحسناء ووصف له تعلقه بها وحبه لها بلا حياء ... وأخذ يستعطفه ،

ويطلب منه العون ... فأثر ذلك فى نفس الملك، وهوّن عليه الأمر وطلب منه الصبر ، حتى يحين الوقت المناسب ...

* * *

والتقت الزوجة بزوجها ، فقصت عليه ما رأت ، بصوت يرتجف من الغضب ، ويدل على ما كانت تشعر به من الذل والمهانة لما أصابها ... فهدأ الزوج الكريم ثائرتها ، وذهب يستطلع الأمر وحين علم أن الملك راض عن عمل صديقه ، ثارت نفسه الأبية للدفاع عن عرضه ، وزاد فى غضبه ، ما رأى من سوء معاملة الملك لأصدقائه ، واحتقاره لهم ، وتنكيله بهم ، وما فرض من الضرائب المرهقة على المنطقة التى ينتسب إليها، والتى يشعر أن عليه حقاً لها، وما سلب أهلها من الحرية ...

هذه العوامل مجتمعة ، فعلت فعلها فى نفس هذا النبيل ؛ فمحقت ما كان يشعر به من الحب للملك ، وحملته على التفكير فى قتله ، ليريح منه ، ولينتقم ! غير مبال بعاقبة ذلك ، ما دام فيه صيانة لشرفه ، وتخليص لشعبه من آصار العبودية التى يرسف فيها تحت ظل هذا الملك الطاغية !

* * *

رجع النبيل إلى زوجته ، والغضب يطويه وينشره ، وعوامل مختلفة تصطرع فى نفسه ، وأخبرها أنه ذاهب لقتل الملك ، فإن نجح فى ذلك فقد بلغ ما أراد ؛ وإن لم يتمكن من قتله أو لم يستطع الإفلات بعد تنفيذ عزيمته ، فعليها أن تدافع عن شرفها حتى آخر لحظة من عمرها . ثم تمنطق بمدارتين ، وودع زوجته وداعاً حارا ومضى لشأنه . وأبت الزوجة الشجاعة أن تلجأ إلى البكاء والنحيب بلا جدوى ؛ بل اكتفت بالسكوت وبالنظر إلى زوجها كأنها تحاول أن ترسم صورته فى مخيلتها جيدا

وصل الرجل إلى البلاط ، وتمكن من الدخول بسهولة؛ لأنه كان معروفاً هناك، ووصل بهدوء إلى غرفة الملك الخاصة، وكان الملك فى ذلك الوقت جالساً يطالع غافلاً عما يدبّر له . وحين رأى صديقه بالأمس داخلاً والشرر يتطاير من عينيه ، استولى عليه حب الحياة ، فحاول الهرب ، ولكن الرجل لم يمهله ، بل أطلق عليه خمس رصاصات من الغدارة الأولى ، ولكنه لم يصبه لشدة انفعاله ، فأراد أن يرد الغدارة إلى منطقته كى يستعين بالغدارة الثانية ، ونسى أنه لا يزال هناك رصاصة أخرى فيها ، فما كاد يضعها فى منطقته ، حتى انطلقت هذه الرصاصة وأصابت منه مقتلاً . فسقط متضرجاً بدمائه الزكية تحت أقدام الملك

أما الزوجة فإنها بعد ذهاب زوجها صعدت إلى أعلى غرفة فى منزلها ، وتزوّدت بما قدرت عليه من الطلقات ، وحصنت الغرفة بما وضعت من الأثاث خلف الباب كالمتاريس ، وجلست فى حصنها متأهبة لما يكون، وهى فى شك من قدرة زوجها على الإفلات بعد تنفيذ عزيمته ، ولكنها لبثت تنتظر ! ولم يطل انتظارها طويلاً حتى قدم جنود الملك وأحاطوا بالمنزل ، فحينذاك عرفت كل ما كان ، وأيقنت أن زوجها قد مات ! فتلاشت رغبتها فى الحياة ، ولم يبق فى نفسها إلا سعير يضطرم يدفعها إلى الثأر . وطلب إليها الجنود أن تنزل ، فأجابتهم بإطلاق الرصاص فأجابوها ناراً بنار ، ودارت المعركة ، فما استطاع الجنود أن يصيبوها وهى فى ذلك الحصن الحصين ؛ على حين استطاعت هى أن تقتل اثنى عشر رجلاً منهم . وعلم الجنود أنهم لن يبلغوا منها مبلغاً ، وصغرت نفوسهم حيال هذه المرأة الجريئة فلم يجدوا إلا أن يشعلوا النار بالمنزل ليحترق بها وتموت بين الأنقاض ، وأيقنت المرأة أنها على شفا الموت حرقاً ، فصاحت بالجنود تخبرهم أنها تستسلم على شرط أن يتقدم الرجل الذى سبّب هذه الكارثة فيعطيها الأمان ويضمن لها السلامة، ففرح الرجل الفاجر وأيقن أنه قد بلغ أمنيته ، وتقدم متبختراً يريد المنزل ، فلم يكد يقترب من الباب حتى أصابته رصاصة فى جبينه ، فخر على الأرض قتيلاً جزاء وفاقاً على ما سبب لهذه الأسرة الهانئة من الشقاء والبلاء ! ولما انتقمت المرأة لنفسها ولزوجها وللأرواح التى أزهقت، هدأت ثائرتها وعلمت أنها قد أدت واجبها ؛ فخيّل إليها كأن صوتاً من الغيب يناديها إليه ، هو صوت زوجها ، فوضعت فوهة المسدس على جبينها وهتفت باسم زوجها لآخر مرة ثم أطلقته ؛ فصعدت روحها الطاهرة إلى بارئها ، وانطفأت شعلة حياتها وهى فى ريعان الصبا وزهرة الشباب !

(بغداد) سائحة أمين زكى

لأنكم بعد الآن !
أصبحت التركيبات العلمية فى صحة الفم، اليوم فى متناول الجميع
بودكالكيلور !
الطلب للشركة العلمية الفاخرة سعيد جلال شوربجى ص.ب ٢١٠٥ بمصر